20060419_0001a - ح
<RR><حيوم الحشرة

حيوم الحشرة>

مندور سحر

(سوسن بو خالد في عرض حيوم الحشرة> □(علي اللمع

تجلس الممثلة في غرفة، تحتضن غائباً، تثور وتسعى للرحيل وحدها، تشدها حقيبتها إلى أرض المكان، ثم تطمح وتسعى للرحيل برفقته هو، فتطول يده وترتفع حقيبتها عن الأرض، لكن قليلاً ومن دون قطعٍ معها، وتبقى هي ثابتة في المكان.

في عرض سوسن بو خالد في مسرح حدوار الشمس>، أتت العلاقة وطيدة بين مجموعة من الكلمات التي تأخذ حيزاً كبيراً من كلامنا، مثل الوحدة والحب والحرب والموت، وبين صور تصيبها في معناها. أداء الممثلة (والمخرجة) وضع تلك العواطف في شكل، وأتى الشكل خانقاً ومحرراً في آن، بمعنى أنك تضحي قادراً على لمس ما يخيفك، كل هذا الغياب الروحي في ظل تواجد ذهني وجسدي، وعلى بلوغ ما يشبه النشوة نتيجة تلك القدرة على لمسه. للحظات طويلة، يشعر المرء بأنه ليس جزءاً من جمهور يجلس إلى كرسي مريح يتفرج على عرض متعب، إذ يمكنه أن يشعر، بصراحة، بأنه لا يتفرج بعينيه وإنما بروحه. داخله حاضرٌ على خشبة، لا تدّعي سوسن أنها تتحدث حباسمك>، عما حيجول في خاطرك>، فهو اتصال تجبرك على بنائه معها، وتضحي كمن يتابع جلسة علاجه النفسي، تلك التي تسبق البحث عن علاج وتأتي لتسمية الوجع الذي تعاني منه. لذلك، ربما، يشعر المرء ببعض التحرر.

أفكار كثيرة تم نسجها بحيث لا تشعر بأن الممثلة تتطرق لهذه <العناوين>، وإنما تضعها في إطارها الحياتي الطبيعي. مجازر الحرب الجماعية والمقابر التي نعيش فوقها، معنى أن تفقد عزيزاً، معنى أن تعجز عن قطع الاتصال بميت، بمفقود، لحظة تقرر الرحيل وتعجز عنه، لحظة يصبح الاستيقاظ السعيد طموحاً يستحيل تحقيقه، لماذا لا يسعك أن تترك ماضياً وتنتقل نحو حاضر، معنى الحاضر في ظل حضور طاغ للماضي، ادعاء العيش في كنف الموت، رفض الموت وتصويره على أنه حياة، تختلف قليلاً عن تلك التي نعرفها، لكنه حياة وليس موتاً، وما إن تقارنه بما تعرفه حتى يستحيل عليك أن تقبله، ولن تطيل من رفضك هذا، فأنت محكوم برغبة العيش في كنفه، محكوم كونك ربما تفتقد كل الأدوات اللازمة لتخطيه.

تقف الممثلة فوق خشبتها، وتكاد لا تتخذ ولو لمرة وضعية الواقف. لا مفر من يد تؤدي دوراً ليس لها، ظهر

دوره ليس عمودياً وإنما بدا ملتوياً، يضم الجسم على نفسه ولا يقوى على فرده، لماذا يفرده وهو لن يجد ما يحاوره مفروداً، فكل ما أعرفه وتعرفه ويعرفه يحتاج إلى ما يحتضنه، يخبئه، يصونه، وذلك كي لا يموت.

وأنت، في المسرح، أمام شباب، حتى ولو رغبت بعدم تصوير الأمر بلغة الفئات العمرية. لكنك فعلاً، أمام ممثلة شابة تحدثك باللغة التي وصلت اليها أنت من خلال العيش هنا وهناك، تعيد تقديم ما يُعتبر <إنسانياً جامعا>، لكن تنطق بلغتك، بالخوف الذي يعتريك ولا تكترث لمنحه وقتاً كافياً للتواجد معك، أو أمامك. هذا أمر خاص ربما، لكن للحظة، خلال العرض، قد ترى يدك تمتد نحو سنيّ الحرب وما تركته في داخلك كشاب، لتلمسه، بهدوء، ومن دون ضجة كبيرة، تتعرف إليه قليلاً، وقد تعامله ببعض الحنان، من دون تعجرف كثير، ومن دون ادعاء البسط، <بسط الملاجئ>. لم تكن تسلية تلك التي قضيتها في الملجأ مع اولاد الجيران، قد تكون احتفالاً بحياة تنمو قسراً في كنف الموت، وقد تكون وهماً ينمو في ظل انعدام إمكانية العيش، قد تكون الكثير غير ذلك، لكنه حي في داخلك، حتى ولو ادّعى العكس.

والسينوغرافيا (حسين بيضون)، أرض المسرحية. تدخل إلى الصالة لتراها منبسطة أمامك، حدودها عمودية، هي شبه غرفة ينمو فيها العرض. وكلما تقدمت برفقة المعنى، ترتفع من تلك الأرض مادة تلصقك بها، لا تربطك، تلصقك، تشعر بصمغها كأنه صمغ الحشرات التي يتناولها النص، مواد لزجة ككل ما يحيط بك من معان في بلدك، وإن أردت توسيع الدائرة تجد تلك المواد أينما كان، في كل أرض، حيث تكون. فمحور الدائرة أنت. من شكل واضح بسيط، إلى كل هذا الكم من الالتصاق ومن العجز عن الميسر. روابط تتجه من الداخل جداً إلى خارجك. لزج، لا تمسكه، لكنه يمسك بك. كشباك العنكبوت، يحيط بك، والعنكبوت تنسج شباكها منه، أما أنت فلست متأكداً تماماً، هل هذا هو نسيجك الخاص أم أنك تتلقاه، فالوجع حاضر في كل لحظة، والوجع لا يأتي فقط من الخارج. أنت مسؤول.

<يوم الحشرة>، عرض أتى بعد سنة كانت طويلة جداً عرفها لبنان. شبابه خلالها كان محور الخطاب، نحن الشباب لنا الغد، وحيّ على الهتاف، وحيّ على القرار، وهيا بنا نقاوم التدخل الأجنبي... ضجة كبيرة تلف الروح، تشبه كثيراً ضجة الحرب في كبر عناوينها وغياب معناها. بعد هذا العام الطويل، وخلال الأسبوعين الماضيين، شهدت بيروت من بين عروض كثيرة عرضين لشابتين لبنانيتين، الأولى هي سوسن، والثانية هي لينا خوري، في مسرح المدينة، مع <حكي نسوان>. المقارنة بينهما هي ضرب من ضروب الظلم، لكن، فلنحاول في نقطة واحدة. هناك، في <حكي نسوان> (مسرحية كوميدية، أقرب إلى الشانسونييه)، بدت الرغبة في <خرق التابو> مسيطرة حدّ الصراخ المستمر، كل ما أقوله على الخشبة، كل كلمة، كل حركة، كله صُنع ليسلب من الناس صرخة دهشة أو إعجاب أو خجل. أنت أمام <انتفاضة النسوان>. في ذلك ما يذكر بالجرأة التي تغنت بها جماهير ١٤ آذار، وبالاحتفالية ذاتها، كمن عرف للتو أنه حامل فركض لتسجيل المولود المنتظر في الجامعة. وهذه عادة تذكر بالحرب كثيراً، إذ إنها امتدت على ١٥ عاماً لكنها لا تذكر في أكثر من كلمة مكونة من ٣ أحرف. في المقابل، وفي <يوم الحشرة>، يجد المتفرج نفسه ممسكاً بناحية من روحه، ينظر إليها بأعين فيها ماء الدمع. لا يسعى لدفن تلك الروح تحت كم هائل من الهتاف والاحتفال والجرأة. لا يدعسها بقدمه إلى أسفل كي يخفيها على أمل أن تختفي بعدها. وبدلاً من أن يصفق لنفسه كونه شهد على خرق تابو، يرسم ابتسامة رضا على وجهه وهو خارج من الصالة كونه تقدم خطوة نحو الأسفل، أسفل روحه. لا يفور كما الحليب محتفلاً بحرية التعبير، وإنما يبدأ بتعلم أبجدية التعبير.

اتضح، بعد عام ونيف على ضجة الألوان، أن كل ما كان، بقي.. نتلهى بالحديث عما يجري الآن، وفي كل آن هناك ما يجري، في حين أن ما نشأنا فيه يبقى من دون نظرة تعارف تلقى نحوه، ونحن نكبر على هامشه، فلا نشبع فعلاً من الحياة، كوننا لا نلتقط روحنا بينما نعيشها وإنما نلتقط مجموعة من العناوين العريضة التي

تقترح نفسها بديلاً عن الروح. ما فعلته سوسن بو خالد هو الالتفات قليلاً ناحية الداخل، فالعناوين العريضة تبقى ما دام الإنسان، فيما الروح، وحدها، تميته إن رحلت، وإن انطفأت أيضاً تميته.